(٢٠)

قامت الصلاة

حي على الصلاح حي على الفلاح

النداء الدائم من البيت السرمدي القائم

حديث الجمعة

٥ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ٢ نوفمبر ١٩٦٢ م

حي على الصلاح، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله.

نادى بها بلال في قميصه، يوجهها إلى نفسه، في دار ابن الأرقم، وما زال ينادي بها بلال في قميصه، يوجهها إلى نفسه، في دار ابن الأرقم كلما بدأ إنسان بنفسه ليصلحها.

قام بها رجل لنفسه وأول رجال عَلِمهَا فكان عَلَمَها، وعَلَّم بها فأعلَمها لزوجه وبيته، وقد بدأ بنفسه وأهله، ثم دعا إليها عشيرته الأقربين، ثم نادى بها في العالمين، فعلمها من عَلِم، وتنكب عن طريقها من تنكب، فسلم من سلم، وهوى من هوى، علم أو لم يعلم.

وما زال بلال يرددها في قميصه لنفسه، وما زالت دار ابن الأرقم قائمة تتجدد كلما بدأ رجل بنفسه فكان بها أول رجال، فدعا زوجه وأهله، ثم عشيرته الأقربين، ثم صاح بها ونادى بها في العالمين. وما زال أول العابدين بها يتجدد أول عابدين في كل أمة بلغة قومه ليبين لهم، يقوم ويتقلب في الساجدين رسولا للناس كافة، ورحمة للعالمين منذرا، ولكل قوم هاد.

إن الذي بدأ الخلق، بادئه بدءا آخر ببدء الصلة به، والإيمان بالمعية له بما ينزل من الحق على هياكله من الناس فيجعل لهم منه نورا، ويقيمهم به روحا في قيام المعية منه حقا يقوم بهيكله منهم نصبا له بفراغ الهيكل من كل ما سواه، إزهاقا للباطل، وجيئة للحق، حيث يتلاقى عالم الرحمن وعالم الشيطان في ذات الإنسان على أرض الحياة ونشأتها عروشا وكراسي للمعروف لعباده عليهم يستوي، قائما على كل نفس بما كسبت، بدءا لحقائقهم فيه عنونهم بدء خلائقهم به.

لا يستوي أصحاب النار قرناء، وأصحاب الجنة خلصاء، ولا يستوي أهل الجنة أتقياء، وأهل النار تعساء، ولا يستوي عباد الشيطان، وعباد الرحمن، ولا يستوي الشيطان والرحمن، ولا يستوي الظلام والنور، ولا يستوي العدم والحياة. وما قامت هذه المظاهر إلا صورا للإنسان في أي صورة ما شاء ركبه، وهو من خصه بالتعبير عنه أو بظهوره علما عليه قائما به بمعيته له من ورائه بإحاطته...

فكان الإنسان في حقيقته الروح الجامع لمفرداته ومعنى الحياة لجماع ذاته. وبذلك كانت الحياة الأرضية وما صدر عنها من مرتفعاتها، بطبقاتها من الحيوات العلوية في سماواتها وحدة تقدس بدؤها، وتأبدت ذاتها، وعنونت بذاتها غيب أزلي نوعها...

وكان كتاب قدسها في معرفة حياتها عن بدئها وتطورها، ودورة البدايات لمفرداتها إلى نهايات من غايات هي عين بدايات لجديد دورات في دوائر الحياة لها، على اختلاف في مستويات التطور لمفرداتها، به تتعارف على مرضي فضل واعتراف وإيمان بتفاضل فيه تنتظم وبه تتجمع وفي مواضعها بأنفسها واختيارها تتماسك، فيظهر بها معها معيتها من الأزل فتحيا وتبقى وبالحياة تتسرمد، وبمعنى الأبد تقوم وتعمل.

وعلى مثال من مفرداتها في وحدتها على ما تعلم تدرك قيام وحدة أكبر من مفردات على مثال من جماع أحدية وحدتها. وحدتها أحدها المتضائل أمام الكبير لها الجامع، ووحدتها هي حجابها وبابها إلى الأكبر لهما تراه في تطورها بمعناه لها فيها بما تمتد وتتسع به من عملها وجديدها لها. فلا يستوي الحوض وواردوه، ولا مانح الحياة ومستقبلها...

وإن كان الإنسان، بجميع حضراته، وبجميع ألوانه، وبجميع طبائعه، وبجميع معانيه، وبجميع معارجه، وبجميع طبقاته، وبغيوبه وبشهاداته، في حضراته من النور، أو حضراته من النار، أو حضراته من الظلام، أو حضراته من التراب، أو حضراته من المعاني، هو الإنسان، فسواء في أعلى عليين كان، أو في أسفل سافلين كان، وفي أقوم طريق كان، أو في أحط انحراف بطريق كان، في أحسن تقويم كان، أو في أبسط تقويم كان، إنما هو الإنسان في روح الحياة الأعظم اللانهائي هي له وهو لها.

إن الإنسان، في الله أو في روح الحياة إنما هو بإرادة مطلقة لا تحد، يقوم بتجليات أزلية للحق دائمة قائمة، أبدية لا تحصر ولا تعد في الأعظم اللانهائي لمعناه، وهو في الإنسان بالإنسان بكلماته، تمت أو لم تتم، وبآياته أبرزت أو لم تبرز، قائم بمعيته، يقيمه بها أينما كان وحيثما كان، يظهر للإنسان عين الإنسان ومعنى الإنسان، يوم يتجمع الإنسان بأبعاضه من مفرداته في ألوانه ومعانيه وصفاته في وحدته من جمع على فرده في فرده بفرده، على محبة في اجتماع، تتأثر مفرداته، وتتواصى أفئدته في قيام،

فيتجمع قديمه من الآباء على جديده من لداته من الأبناء في حضرة قيامه من ذاته، أمة مؤمنة، تدعو إلى الخير، لها الغلبة والأمر تأمر بالمعروف، ولها اليقظة والدراية، والخبرة والحماية، تنهى عن المنكر، ولها العلم، والمعرفة، الصلاة عندها صلة، بين ظاهر الإنسان بخلقه، وباطن الإنسان بحقه، تؤمن بالله، ظاهرا وباطنا، في إيمانها بنفسها، ظاهرا وباطنا، يقينا بوحدانيته في وحدانيتها به، وقياما بحصن ألوهيته، وظهورا بحقه، لا تنكر عليه قائما، ولا تغيبه حاضرا، ولا تحيط به وجودا، ولا تنكره مشهودا، ولا تحتويه معلوما، ولا تجهله علما، تتواجده ويتواجدها، تشهده ويشهدها، تعرفه ويعرفها، أمة وسطا، بين قديم الإنسان وأزلي جنسه لا بدء له، وبين جديد الإنسان وأبدي جنسه لا انقضاء له، قياما بمعنى الإنسان، يوم يقوم الإنسان بمعنى ربه عبدا ووجها له، فرغ فانتصب، وأمر فقام، وآمن فسجد، وتأدب فركع، وطلب، وحار فسعَى وقصد، فعلم فطاف واستقبل وواصل، واستقرت نفسه، وقامت سكينته فدخل فوصل، فصار سكينة الله في نفسه وبيته، فنشر الله منه السكينة على خلقه، وأمر فصلى عليهم فكانت صلاته سكنًا لهم، فاستقبلوه وجها للصلاح، وطافوه بيتا للفلاح، وامتطوه سفينا للنجاح. ذلك من شهد أنه لا إله إلا الله، فأشهده الله أنه محمد رسول الله ولنفسه مثلا لخلقه اصطفاه، تعريفا عن الأقدس من ذاته، ولسعادته اجتباه ليأنس بالرفيق الأعلى لذاته، وائتناسا بذاته لعباده، أهداه رحمة مهداة.

إن الربوبية، لا تُعرف ولا تتعارف، إلا لعبوديتها، ولا تتلاقى ولا تتعارف إلا بعبادها، وعبادها في ألوانهم وطبائعهم، يعنونونها في أسمائها وصفاتها لعوالمهم بمعالمهم رسلا من أنفسهم. إن القائم على كل نفس، ما عُرف إلا بما قام به على هذه النفس لهذه النفس وما قام عليها بما كسبت، وما كانت بذاتها إلا ما اكتسبت.

إن الناس من الإنسان، في طبائعهم من النور، ملكهم عشق مولاهم، أو في طبائعهم من النار، ملكهم من سادهم وتولاهم، أو في طبائعهم من الطين، ملكهم من بالروح طواهم وبالنور غذاهم، ولمعانيه ارتضاهم، فالإنسان بمجتمعه كتاب الله، وبطبائعه سور كتابه، وبمفرداته صحائفها وكلماتها وحروفها. وهو في علميته على معلومه بمفرداته وجماعاته إنما يعنون أسماء الله، ويعنون صفات الله، ويعنون حقائق الله.

إن الناس في الله، ينتظمون، وينظمون، ويتواجدون، وينسقون، في ظل قوانين الحياة، وهي خُلُق الله، وصفات الله، فمن تخلق بأخلاق الله، وحاكى لنفسه صفات الله، قام باسم الله فيما حاكاه، واتصف بما تمناه. إن للإنسان في الله حضرات بقدر أسماء الله وبقدر صفات الله، وإن الله في قائم الحياة هو قانون الحياة، وهو محقق لكل إنسان فيه ما تمناه، فهو عند ظن عبده به، إن ظن خيرا

حقق له الخير، وإن ظن شرا أقامه فيما أراد من شر به يقوم أو عليه يُقام، وفق طويته في معاملة الناس معاملة مع الله، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، نارا وقودها الناس والحجارة، أصحابها وساداتها ملائكة من الجنة والناس على رأسهم إنسان الرحمن المستوي على عرش كبريائه وعظمته برسالته للناس، أعطاه السيد المالك للملك ملكا يسوده وعالما يقوده رفيع الدرجات فيه. فهل نطلب في الله حضرة الرشاد؟ أم هل نبقى في الله في تعلق بحضرة العناد؟

إن الإنسان لربه لكنود، خلقه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. يا أيها الإنسان، يا أيها الناس أقيموا الصلاة وادخلوا في السلم كافة. إلى متى مخاصمة الله؟ إلى متى معاندة الله؟ فإن الله وقد خلقكم في كبد من أمركم، وفي حجاب من أنفسكم بحكمته، إنما أراد أن يخلق أنانيتكم في وهم عزلة عن أنانيته، وهو الذي لا يشارك بوجود، حتى إذا ما أدركتم هذه الأنانية في عزلة عن معاني أناه وهذا خصامكم وهو لكم فيه معيتكم، تخليتم له عن أنانيتكم من الباطل والوهم ليقومكم بأنانيته من الحق واليقين وينفخ فيكم من روحه، فتقومون وجوها له، وقد كنتم أشباحا عنكم. هذا هو الإنسان في الله، ذكرا محدثا له، يوم يحرص على أمانة الله بحرصه على معية الله له، فلا يخرج من هذه الدنيا، إلا وقد كسبها فقامته فقامها، ونحر نفسه، وقتل باطله، وأنكر على موهوم أناه، وقال بل هو.. لا شريك له، هو.. لا إله إلا الله، فدخل في حصنها، وأمن من نفسه تمكر به بوهمها من حكمة الله وقضاء الله وتدبير الله، حتى يتعارف العدم في معناه، إلى الوجود في معنى مولاه، فيتواجده معنى فيه عنه، وقد كان من قبل لا كائن ولا شيء، فأصبح به كل شيء، لا يكذب الفؤاد ما يرى، ولا تطغى العين فيما ترى.

إن محمد الله دوما ومحمود الناس برحمته يوما، رفيع الدرجات، ذو العرش يوم تشرق الأرض بنوره ربا لها، وتلده الأَمَة سيدا عليها، فتنشق الأرض عنه وتشرق الأرض بنوره مستويا على عرش ملكوته، أقرب الناس منازل منه يوم يظهر بما يقوم به من أمر الله، يوم يقوم بالحق، رفيع الدرجات، رافع الرتب، نفسا قدرت، خافضة رافعة، يبطش بها الله البطشة الكبرى، الأرض به جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه، إنسان الله، ومحمده، ومحموده، وعبد الله، ومشاهده ومشهوده، يُقَدَّر به الله حق قدره عبدا له، وينزل به الناس منازلهم فيه، عبادا لربه ووجوها له، أمة لهم، تؤمن بالله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أمة في فرد وفرد في أمة، ذلك هو رسول الله يوم يدعى الناس بإمامهم. وهو الذي لم نعرف. ذلك هو عبد الله لنا الذي لم نشرف، ذلك هو إنسان الله الذي لم نقم، ذلك روح الله الذي لم نتعرض له، ذلك نور الله الذي لم نسجد له، ولم نتقدم لسريانه بنا، هذا هو حوض الله الذي لم نرد وكان فرطنا. هذا هو الرحمة المهداة التي رفضناها. كان هذا كله لنا منا، وكان لنا منه فأخذنا طريقنا نقيضه في كل حال. باعدناه فما باعدنا، وجافيناه فما جفانا، وجهلناه ولم يتجاهلنا،

وأسأنا إليه فلم ينقطع عن الإحسان إلينا باخعا نفسه على آثارنا في دوام من أزله إلى أبده، حتى يحمد عندنا، وحتى نرضى، وقد رضينا قائما في النيام منا، معنا وإن جهلناه أو تجاهلناه، داخلا علينا بالسلام، نازلا بالسكينة، موقظا بالحكمة، آخذا بنواصينا إلى الخير، ها هو يدانينا، في مداناة نفسه بنا، يسهر علينا لا ينام، ويحيط بنا لا يغفل، ويتواجدنا لا يستكبر، ها هو ملأ السماء، كما هو ملأ الأرض، ها هو يملأ السماء، عقلا وحكمة وتدبيرا لملأ الأرض، جسدا وقدما وجوارح له، يلتئم بهما لمعناه، ويوقظ نائم القيام بعثا لمبناه، يميته عنه مقطوعا، ويحييه به موصولا، ويتحدث منه واصلا معلما. ها هو الإنسان يقوم ويشهد قيامته، ها هي السماء سماؤه وداره، وها هي الأرض أرضه وملكه ومزرعته وعطاؤه ومزاره. ها هو يجمع بين أرضه وسمائه دارا واحدة له وملكا واحدا له يقوم عليه بالحق في معناه من ربه عبدا له وإنسانا فيه، يعرفه لا شريك له، ويقومه أحدا، لا وجود لغيره وجها له، ويَعلمه ويُعلمه واحدا لا يشارك رحمة منه لنفسه به. ها هي رسالة الروح، تخاطب هياكل الروح بلسانه روحا هاديا، وتؤذن في عوالمها بالحج بصوته مناديا تناديهم للقيام أن هلموا إلى أنفسكم، وتدعوهم للحياة في القيام به قائمين فيه، وتقوم لهم به أحواض الحياة لهم، وتنزل من سمائها بماء الحياة، فتتفتح بقدرة الله الأرض بعيونها ومائها ويلتقي عليها ماء الأرض بماء السماء فيتصاعد نبات الأرض لأجواء الفضاء بأمر قد قدر، يخرج من ضعفه إلى قدرة ربه، إلى قدرة الله، إلى معنى يد الله القابضة الباسطة إلى أمر الله، إلى رسول الله، أتى أمر الله فلا تستعجلوه. وها نحن نشهد فجر يومه.

هذا ما جاء به محمد، وما قام به دين محمد، وما حفظ به دين محمد، وما تجدد به دين محمد، وما يتجدد به دين محمد في كل وقت وحين.

لا إله إلا الله، لا عبد له إلا عبد معناه، ولا شهود له إلا في شهود وجه معناه. الرسول ومرسله وربهما عباد له. الأعلى فيه والأدنى منه عباد له. لا تعدد لهم معه. عباده وجوهه لمعارفه. المشاهد والمشهود منه عباده لرسله بهم تعارف الرسول إلى مرسله، وما تعارف المرسل إلا لرسوله في تعارف العبد إلى ربه، وما تعارف العبد فيه إلا إلى رفيق أعلى له في قانون الوجود المقدس، أو في الوجود الأقدس، برحمة المعروف، وفي حكمة الموصوف، وبقدرة الموجود.

ما تعارف الإنسان إلى معاني الرب عليه، إلا إلى المعنى القائم عليه من جنسه. إن كل نفس لما عليها حافظ، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، ولا يحيط الإنسان بعلمه إلا بما كسب من عمل، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[1]. إن الإنسان مظهر صنعه بقدرة صانعه فيه. والعبد والرب لمعناه أحدية في صانعه أحدا معه ومعروفا منه.

هذا هو قانون الحياة، وهذا هو باب العلم عن الله، فهل علم الناس؟ وهل تعلم الناس؟ وهل تواصى الناس متعلمين بالالتفاف حول المعلمين فانتظم جمعهم، واستقام هديهم، وما خاب سعيهم، وتحققت لهم في الحياة أهدافهم؟

إن حجر الزاوية.. إن مركز الدائرة.. إن دائرة الإحاطة، إنما هي فيمن جاهدوا في الله حق جهاده، فكانت منهم أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، يوم يعرفون محمد الله ومحمودهم، ويوم يعرفون عبد الله بينهم، وبيت الله لصلاتهم، وجه قبلتهم، وباب ساحتهم، ووعي حضرتهم، ومعية إيمانهم، ووسيلة مصاحبتهم، ومركز ارتكازهم، وطريق سيرهم، ومصباح طريقهم، على مثاله، وعلى حاله، وعلى معناه، يقيمون وصلتهم مع الله واتصالهم به، عبدا للرحمن بينهم، يدا للإحسان ممتدة إليهم، دليل طريقهم، ومصباح سعيهم، يتخلقون بأخلاقه تخلقا بأخلاق الرحمن، ويتعارفون إليه تعارفا إلى وجه الديان، ويقومونه قياما من فضل القيوم، ويحاكونه في الصغير والكبير من أمره قياما في أمرهم بقائم ربهم.

إن حلقة المعلم في الله هي حوض الحياة، وساحة المعرفة، ومصباح الظلام، وصلاة الدين، وقبلة اليقين، وبيت الطواف، وزمزم الارتواء، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا، ومن يهدي الله إنما يهده السبيل وذلك يوم يجمعه على الخبير والدليل.

محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، لا ينقطع لهم وجود، ولا يتوقف لهم تواجد، ولا يمنعهم الله على الناس، لا شرف لعربي على أعجمي في أمته إلا بتقوى الله، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. كتاب أنزلناه عليك لتتلوه في الناس على مكث. إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ. يرسله الله في أمم البشرية يقوم ويتقلب في الساجدين، وما أرسلناك إلا كافة للناس تبعث فيهم بلغة أقوامهم، وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه ليبين لهم.

إن محمدا رسول الله، وعبد الله، وروح الله، ونور الله، يقوم ويتواجد في مشارق الأرض وأممها، ومغارب الأرض وأممها، في أهل الاستقامة والإدراك والمعرفة، رسلا من أنفسهم بنور رسول الله، الذي أعلمنا الله أنه فينا، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٢] والذي أعلمنا الله أنه آخذ من كل أمة بشهيد يقوم منبرا لدعوة الفطرة يقوم فيه الرسول بنوره، ثم يأتي بالرسول زويت له الأرض وتبلغ أمته ما زوي له منها شهداء على هؤلاء الذين كانوا منه وإليه، فكان محمد بذلك نهاية المطاف، ونهاية المعرفة، ونهاية الأرب، ونهاية كل شيء للإنسانية والبشرية، في قائم البشرية، وفي قادم البشرية، كما كان كذلك بقديم معانيه في قديم البشرية. أخذ له الميثاق من قديمها أنبياء يظهرهم قبل ظهوره، وأخذ له

الميثاق من مستقبلها شهداء يقومون بعد سفوره، ويقوم في الناس أمة وأمما أمة بعد أمة، تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بعديد دائم وقديم قائم. ذلك هو محمد الإنسان، ذلك هو محمد العبد، ذلك هو محمد الرسول، ذلك هو محمد النور، ذلك هو محمد الروح، ذلك هو محمد المعنى، ذلك هو محمد المبنى، عبد الله، ووجه الله، والحق من الله للناس يوم يفكر الناس في أمر أنفسهم في الله، فيتابعونه على ما عَلَّم، ويعلمونهم على ما عَلِم، فيعلّمون الناس عن أنفسهم، ويعلمون الناس عن الله في معيتهم. أشهد أنه لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم إن محمدا على ما أبرزت وعلمت، وعلى ما لم نعلم.. جعلته منك لنا رحمة، وأبرزته لنا قدوة وأسوة. اللهم به فارحمنا على ما وعدت، اللهم به فأوصلنا على ما هديت، اللهم به فقمنا على ما أكرمت وبشرت وخلقت، اللهم إنا علمنا معه أنه لا إله إلا أنت، ولا وجود لنا، وعلمنا به أنه رسولك بعثت به إلينا من حقي أنفسنا بك، وجعلت فيه قدوة لنا، ووعدتنا ما عَلَّمته، وأمسكت بنا على ما هديته ضالا فهديت، ويتيما فآويت، وفقيرا فأغنيت. اللهم على ما نحن، على ما تعلم، كلنا الضال، وكلنا المفتقر، وكلنا اليتيم. اللهم مره يأوينا على ما آويت، وأجزل عطاءه، وقسمنا عنده حتى يغننا على ما أغنيت، ويفيض علينا من نوره الذي عليه أنزلت، يسري فينا به، فيقومنا لا نقومه، ويتوحدنا لا نتوحده، فيه نتواجد، وفينا بعظمته منك لا يتواجد، وهو فيك المتواجد، وأنت به لنا المشاهد المتواجد. اللهم إنا به آمنا إيمانا بك، وله عرفنا معرفة لك، اللهم إنا لا نتجاوزه إليك، فهو لنا حقك، وهدانا، وغنانا، وسعادتنا، ومأوانا. اللهم إنا معه تأدبنا تأدبا معك، وله خشعنا خشوعا لك، وإليه رجعنا رجوعا إليك، اللهم به فأكرمنا، وبه فارحمنا، وبه فأوصلنا، وبه فأحينا، وبه فأبقنا، لا إله إلا أنت. اللهم به تولَنا برحمتك، حكاما ومحكومين، طغاة ومهتدين، ضالين وعارفين، مجاهدين وغافلين، يا من أحطت بنا برحمتك، وجعلته رحمة منك، به ارحمنا، وبه اغفر لنا، وبه تب علينا، وبه تولَنا، وأنزل سكينتك منه على قلوبنا. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

(سيروا دائما إلى الأمام عالمين بأن معكم حقا منحة من الحق الروحي لا يقدر بثمن، سوف تطرد كل الغيوم وتساعدكم على اختراق الظلمات بضوء الفهم. ولكن تذكروا دائما المسئولية التي تأتي مع المعرفة لأنه إذا ما عرفتم مرة فلستم أنفسكم عندما كنتم جاهلين. إن الذي يرفض قوة الروح وهو يعرف يرتكب ذنبا أعظم من الشخص الذي يعارض الحق الروحي بجهالة).

من هدي الروح المرشد السيد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الزلزلة ٧، ٨

٢ سورة الحجرات - ٧